من
دلائل النبوة
في كتب أهل الكتاب

د. مفيدة صالح المغربي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net

من دلائل النُّبُوَّة في كُتُبِ أهلِ الكِتابِ

د. مفيدة صالح المغربي

دكتوراه اللغة العربية

الدولة: مصر

البريد الإلكتروني: aadan78@yahoo.com

الهاتف: ٠١٠١٩٠٥٤٦١٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من دلائل النُّبُوَّة في كُتُبِ أهلِ الكِتابِ

الحمد لله الذي بعث في الأمِّيِّين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكِّيهم ويعلِّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين..

وبعد...

فقد أخذ الله تعالى العهدَ والميثاقَ على أنبيائِهِ أنْ يُصدِّق بعضهم بعضًا وأن يصدِّقوا خاتمهم ﷺ فقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾[آل عمران: ٨١]

وعليه فقد تتابعت البُشَرُ في الكتبِ السماويةِ السابقةِ منبئةً ببعثةِ خير البَشر ﷺ، وأجمع أهل الكتابِ على الوعدِ بنبي منتظرٍ، وتواتَر الخبرُ بذلك. وإنَّ من حِفْظِ اللهِ تعالى لكتابه ولدينه أنْ حفِظَ الدلائلَ على نبوَّته ﷺ المذكورةَ في الكتبِ السابقةِ، وطِبْقًا للأدلة العِلْمِيَّةِ التِي تُثْبِتُ قَدْرَ التحريف الذي طالَ المواريثَ السماويةَ السابقةَ، فإنَّه من الملاحَظ أنَّ النُّصوصَ المبشِّرةَ ببعثتهﷺ والمتعلقة بنعته وصفته كانت أكثر عُرضةً للتحريف المتعمَّد بعد ظهوره ﷺ وانتشارِ دعوته وسيادةِ أُمَّته. هذا، ومع نقل تلك الكتب من لغة إلى لغة والتصرف في الترجمة حسَب الأهواء والأمزجة، إذا بهذه النصوص يخفُت ضوءُها حينًا بعد حينٍ، ويأبى اللهُ إلا أنْ يُتمَّ نورَه؛ لذا كان لزامًا علينا تتبعَ تلك النصوصِ والكشفِ عنها ودفعِ توَهُّم كونها لغير محمد ﷺ.

هذا، وإنَّ منَ الثَّوَابِتِ العَقلية للإيمان بالله تعالى الإيمانَ باتحادِ شرائعه وتكاملِ رسالاته وتعاضُدِ رسله، فإذا كان المصدر واحِدًا فإنَّ الروافدَ تكون واحدةً، ومن فطرةِ اللهِ تعالى التي فطَر الناسَ عليها أنَّ العقولَ ليست واحدةً والأمزجةَ ليست سواءً، ومَعَ أنَّا نؤمن إيمانًا تامًّا بأن النَّبِيَّ محمدًا ﷺ ذُكِرَ بنَعته وصفنه واسمه في كتبِ أهلِ الكتابِ، فَسَيَبقى مِنَ الضَّرُورِيِّ الاعتمادُ على الاستدلالِ العقليّ المبْنِيّ على النُّصوصِ كَسبيل إلى تيكم الغَايةِ مَع المخَالِفِ. ومن القواعدِ التي ينبغي مراعاتُها عند الحديثِ عن بشاراتِ المواريثِ السماويةِ السابقةِ بالنبيِّ الكريمِ محمدٍ ﷺ، ملاحَظَة أنَّ الغموضَ الذي يكتنِف النصوصَ

الدالَّةَ على مبعثه يرجع إلى أمورٍ عدَّةٍ، **أولها**: الاختلاف المعهود في ترجمة الكتب السابقة، التي تبدأ بتغييرٍ في حرفٍ وتنتهي بزيادة تفسيرٍ للعبارة وإقحامه في النص، وقد ذكر عَدِيدٌ مِنَ البَاحِثِينَ أمثلةً لاختلافات الترجمة في النسخ المطبوعة في الأناجيلِ تقرِّر قاعدة واحدة هي أن بقاء اسم النبي ﷺ بلفظه من لَدُن بعثته إلى الآن أمرٌ مُحالٌ، بل لا بدَّ أن يمسَّه التغييرُ والتحريفُ([1]).

وقد اعترفت الكنيسة بعدم دِقَّةِ الكتاب المقدس في بعضِ المعلوماتِ وسوَّغوا ذلك بأنَّ "بعض النُّسَّاخ الأتقياء أقدموا بإدخال تصحيحات لاهوتية على تحسين بعض التعابير التي كانت تبدو لهم معرضة لتفسير عقائدي خَطر"([2])، وقالوا: "لم يَتَرَدَّدْ بعض النُّقَّاد في تصحيح النَّصِّ المِسْوَرِي كلما لم يعجبهم لاعتِبار أدَبي أو لاعتبار لاهوتيّ"([3]). وقد باتَ أمرُ التَّحْرِيف مَفْرُوغًا منه.

والثاني: هو أنَّ النصوص الواردة بشأن البشارة بمحمد ﷺ نصوص خفية تحتاج إلى استدلال، ولو كان أمره ﷺ ظاهرًا لما عوتِب علماؤهم في كتمانه، والحقُّ أنَّ تلك الكنايات صانت كثيرًا من البشارات من العبَث والتحريف على ما سيأتي.

الأمر الثالث: أنَّ أكثر ما يَذهَب إليه أهلُ الكتابِ في شأنِ هذه الدلائلِ إما الإنكارُ، وإما أنها تنطبق على عيسى بن مريم عليه السلام.

وقد دأبَ علماءُ المسلمين منذ الأعْصُرِ الإسلاميةِ الأُولى على جمع بعض تلك النُّصُوصِ الدالةِ على نبوته ﷺ وتفسيرها، وقد أسهَم في ذلك مَنْ آمَنَ مِنْ أهْلِ الكِتابِ مِمَّن هم على دِرَايةٍ بِجُدُوثِ التَّحْرِيفِ ومَوَاضِعِهِ. وسنُورِد هنا أكثرَ البشاراتِ التي تدرَاسها علماءُ المسلمين ونربِطها بما ورد في النصوص القرآنية والنبوية.

ومِنْ تلكَ البشارات ما كان لإبراهيم عليه السلام وهاجر حيث ناداها المَلَك ووعدها المولى – عز وجلَّ- أن يكثِّر نسلها جاء في سِفْر التكوين: "تكثيرًا أُكَثِر نسلك فلا يُعَدُّ من الكثرة؛ لأن الرَّبَّ قد سمع

([1]) يُنْظَر: إظهار الحقّ، العلامة رحمة الله الهندي: ص١١٠٥:١١١١، كَذَلك: عبد الأحد داوود، محمد في الكتاب المقدس، ص١٤٧:١٦٥. اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، أحمد عبد الوهاب: ص٢١:٢٤.
(٢) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، أحمد عبد الوهاب، ص٢١:٢٤.
(٣) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس، أحمد عبد الوهاب، ص:٢٤.

لمذلتك وأنه يكون إنسانًا وحشِيًّا، يدُه على كلِّ واحدٍ ويدُ كل واحدٍ عليه، وأمام جميع إخوته يسكُن"[التكوين:١٦/١١-١٢](٤)

فقوله: "يده على كلِّ واحدٍ" أي: سلطان إسماعيل على الجميع، ولم يكن لإسماعيل عليه السلام وذريته سلطان على الجميع إلا بعد مبعث النبي محمد ﷺ وانتشار دعوته وسيادة أُمَّته، وكان من قبل يد كل واحدٍ عليه، وقد ذهب ابن تيمية- رحمه الله – في تأويل هذه الفقرة من الكتاب إلى أن السلطان يكون بدعوى نبوة أو بغيرها. وهذا المدَّعي إمَّا أن يكون صادِقًا أو كاذبًا، فإن كان كاذبًا كان سلطانه شرًّا من سلطان الظالم الذي لم يدَّعِ النبوةَ، والإخبار بملك مدَّعي النبوة الكاذب لا يكون بشارةً ولا يَفرح به إبراهيم وهاجر، فتيقَّن أن النصَّ المرادُ به التبشير بمُلْكِ نبيٍّ صادق من ذرية إسماعيل عليه السلام(٥).

ويُؤَيِّده ما جاء في قوله تعالى على لِسانِ إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة/١٢٩]، وقوله صلى الله عليه وسلم:"أنا دعوة أبي إبراهيم"(٦).

ومن أعظَم البُشَر التي دلَّت على مبعثه وصِدق نبوته عليه الصلاة والسلام، ما جاء في سفر التثنية: "وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته، فقال: "جاء الرَّبُّ من سيناء، وأشرق لهم من سَعير وتلألأ من جبل فاران".[إصحاح: ٣٣/١:٣]

فمجيء الرَّبِّ من سيناء إشارة إلى رسالة موسى عليه السلام حيث أُنزِل عليه وكلمه ربُّه بسيناء، أمَّا سعير فهي جبال ببلدة الناصرة حيث أقام عيسى عليه السلام (٧)، فقوله: "وأشرق لهم من سعير" رمز إلى رسالة عيسى عليه السلام، أما قوله: "تلألأ من جبل فاران" فجبل فاران بمكة المكرمة (٨)، وعليه تكون الإشارة في الجملة الثالثة إلى تلألؤ النور وكمال الرسالة وتمام الناموس من مكة ببعثة محمد ﷺ، قال

---

(٤) تم اعتماد نسختين من الكتاب المقدس في هذا البحث إحداهما طبعة دار الكتاب المقدس وهي نسخة مترجمة من اللغات الأصلية العبرانية – الكلدانية – اليونانية طبعة ثانية سنة ١٨٧١م، ونسخة بالشرح والتعليق دار المشرق – بيروت – لبنان- ١٩٩٤م.

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية:٥/٢٢٥ .

(٦) أخرجه أحمد في مسنده (١٧١٥٠)، وابن حِبَان في الصحيح (٦٤٠٤)

(٧) معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٣/١٧١، دار صادر – بيروت. وقد نقل ياقوت هذا التفسير لهذه الفقرة.

(٨) معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٤/٢٢٥. وقد نقل ياقوت هذا التفسير لهذه الفقرة عن ابن ماكولا.

ابن قتيبة: "وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أنَّ فاران هي مكة"([٩])، هذا على عَهْدِ اِبْنِ قُتَيْبَة، غَيْرَ أنَّ بعض متعصبي النصرانية قد ذهب إلى أن المقصود بفاران صحراء سيناء وليست مكة، ويُرَدُّ عليهم من كتابهم حيث جاء فيه "ونادى ملاك الله هاجر .. وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية، .. وسكن في برية فاران" [التكوين: ٢١/١٧:٢١]. ومعلوم أنَّ إسماعيل عليه السلام لم يك إلا بمكة، ولا مانع من وجود منطقة في جنوب سيناء باسم فاران أن توجد منطقة أخرى تسمى فاران وهي صحراء العرب التي سكنها إسماعيل.

ودلالة الأفعال "جاء، أشرق، تلألأ" توحي بالتدرج في الوحي، فالمجيء بداية الشريعة، والإشراق أوسطه، والتلألؤ درجة الكمال والرُّقِيّ في الشريعة، وهي الوحي الخاتم والرسالة المتمة لجميع الرسالات، ودلالته مقرونة بقوله جل شأنه في الكتاب العزيز: ﴿**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (١) وَطُورِ سِينِينَ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (٣)**﴾[التين/١-٣].

وتؤيدها نبوءة حبقوق: "جاء الله من تيمان، والقدوس من جبل فاران، سِلاه، جلاله غطى السماوات والأرض، وامتلأت الأرض من تسبيحه"[٣/٣:٨].

ومن النبوءات التي بشر بها موسى عليه السلام ببعثة محمد ﷺ، ما جاء عنه بعد نزوله من الطور يقول لبني إسرائيل: "قال لي الرب: قد أحسنوا في ما تكلموا، أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه". [التثنية: ١٨/١٨:٢٢] ، وتفسير البشارة على النحو الآتي:

"من وسط إخوتهم" أي من إخوة بني إسرائيل وليس منهم؛ إذ لو كان هذا المراد لقال "منكم"، وإخوة إسرائيل عيصو وإسماعيل وغيرهم من أولاد قطورة، ولم يكن من هؤلاء من قال بالنبوة سوى محمد ﷺ، ويمتنع أن يكون عيسى عليه السلام لأن عيسى عندهم إله معبود.

([٩]) ويراجع كذلك: توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم - (ج ٧ / ص ٥) لابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة : الأولى- ١٩٩٣م.

وقوله: "مثلك" أي مثل موسى عليه السلام، والتماثل بين موسى عليه السلام ومحمد ﷺ متحققٌ في أنَّ كلا منهما أوتي بشريعة كاملة بخلاف عيسى فإنه إنما جاء ليكمل بشريعة موسى على ما جاء في متى: "لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئتُ لأُبْطِل بل لأُكْمِل" [١٧/٥]، ثم إنَّ كليهما ذوا ميلادٍ طبيعي ووفاة طبيعية وزواج، بخلاف عيسى عليه السلام، وكلاهما بُعِث بالسيف وقاد أُمَّته، وختام ذلك أنَّ مثل موسى عليه السلام لن يكون في بني إسرائيل وفقًا لما جاء في "لم يَقُم بعدُ نبيٌّ في إسرائيل مثل موسى"[التثنية: ٣٤/١٨]، وكثيرًا ما قرن الله عز وجل موسى بمحمد صلوات الله عليهما، قال تعالى:﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ [الأحقاف/١٢]، وقال تعالى:﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ [المزمل/١٥]، وقد استدَلَّ ﷺ بمواقف كثيرة من دعوة موسى عليه السلام كقوله: "رحم اللهُ أخي موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر"([١٠]).

أما قوله: "أجعل كلامي في فمه" فقد استنبط منها العلماء كونَ ذلك النبي المنتظر أُمِّيًّا لا يقرأ ولا يكتب. ويؤيِّدها من النصِّ القرآني قوله تعالى:﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[النجم/٣، ٤]

وقوله: "فيكلمهم بكل ما أوصيه به" أي: يتمكن من بلاغ كامل دينه لأتباع يقبلون ويستطيعون تحمُّله، ويمتنع أن يكون هو عيسى عليه السلام لتعارض ذلك مع ما ورد في إنجيل يوحنا: "لا تستطيعون تحمُّلَه" [١٦/٥:١٤]

يتلو ذلك بشارة أشعيا: "اهتفي أيتها العاقر التي لم تلد، اندفعي بالهتاف واصرخي، أيتها التي لم تتمخض، فإن بني المهجورة أكثر من بني المتزوجة، قال الرب: وسعي موضع خيمتك وليبسطوا جلود مساكنك، ولا تمنعيهم، طوِّلي أطنابك وثبتي أوتادك، فإنك تتجاوزين إلى اليمين وإلى الشمال، ويرث نسلك الأمم، ويعمر المدن الخربة، لا تخافي فإنك لا تخزين، ولا تخجلي فإنك لا تفتضحين، لأنك ستنسين خزي صباك، ولا تذكرين عار إرمالك من بعد" [أشعيا:٥٤/١:٤]، والواضح أنه استعار لفظ "العاقر" و"المهجورة" لمكة المكرمة؛ إذ لم يكن بها أنبياء قبل محمد ﷺ، أما المتزوجة فإشارة إلى القدس (أورشليم) لكثرة ما خرج منها من أنبياء. وهذا تصديق للنبوءة السابقة بشأن تكثير ولد هاجر عليها

([١٠]) أخرجه البخاي في صحيحه: حديث رقم (٣١٥٠)

السلام وأن الله يجعل منه أمة عظيمة، فقوله: "طوِّلي أطنابك وثبتي أوتادك، فإنك تتجاوزين إلى اليمين وإلى الشمال، ويرث نسلك الأمم، ويعمر المدن" أكثر ما ينطبق على مكة فهي التي تجاوزت إلى اليمين والشمال، وأبناؤها من العَرَبِ هُمْ مَن وَرِثُوا الأُمَمَ وعَمَّروا المُدُنَ الخَرِبَةَ. ويذهب بعض العلماء إلى أنَّ "المهْجُورة والمتزوِّجة" مُفَارَقَةٌ بينَ هاجَر وسارة عليهما السلام([11])، والدلالة واحدة.

وجاء في أشعيا أيضا: "وأما في الزمان الأخير فسيمجد طريق البحر عبر الأردن، جليل الأمم، الشعب السائر في الظلمة أبصر نورًا عظيمًا والمقيمون في بقعة الظلام أشرق عليهم النور، كثرت له الأمة، وفرت لها الفرح. يفرحون أمامك كالفرح في الحصاد...لأنه قد وُلِد لنا وأعطي لنا ابن فصارت الرئاسة على كتفه ودُعِي اسمه عجيبًا مشيرًا، إلها جبَّارًا، أبا الأبد، رئيس السلام، لنمو الرئاسة، ولسلام لا انقضاء بعده" [أشعيا: ٩/١:٦].

وقد استنبط العلماء منها أن الشعب السائر في الظلمة هم العرب من ذرية إسماعيل عليه السلام الذين عاشوا في ظلام، بعيدًا عن نور النبوة، ها قد أشرق عليهم نور النبوة. ويُؤَيِّدُه من القرآن قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤]

وتؤيِّدها نبوءته الآتية: "لترفع البرية ومدنها صوتها، الديارُ التي سكنها قيدار. لتترنم سكان سالِع([12])، من رؤوس الجبال ليهتفوا، ليعطوا الرب مجدًا، ويخبروا بتسبيحه في الجزائر" [إشعيا ٤٢/ ١١ – ١٢] متى رفعت البرية صوتها؟، متى مدَّت الدِّيَارُ التِي سكنها قيدار صوتها؟ متى سُمِعَ التمجيد من الجبال، متى ترنمت الجزائر بالتسبيح، متى انتشر دِينٌ غَطَّى نِصف البَسِيطَة من المحيط الأطلسي غرْبًا إلى حدود الصين شرقًا، ومن سيبيريا شمالا إلى المحيط الهندي وبحر العرب جنوبًا، لم يعرف التاريخ هذا إلا بعد بعثة محمد ﷺ، وجِهادِ أصحابه.

أما قوله: "فيرفع راية لأمة بعيدة ويصفر لها من أقصى الأرض فإذا هي مقبلة بسرعة وخفة، ليس فيها مُنْهَك ولا عاثِر، لا تنعَسُ ولا تنامُ... " [أشعيا: ٥/٢٦:٣٠]فقد جاء في التعليق: "يمكننا أن نربط هذه

([11]) إظهار الحق: ٤/١١٦١.

([12]) في طبعة دار المشرق: " ليترنم سكان الصخرة" وفي هامشه المراد بالصخرة "البتراء"

القصيدة بأحد اجتياحات أشور،...ولكن المجْتاح غير مذكور، وقد يدور الكلام على موضوع عام، وهو أن الله يتخذ أمة قديرةً أداة لانتقامه"([١٣])، وقد جاء في البخاري في حديث بدء الوحي أنه لما ورد كتاب النبي ﷺ على هرقل قال: "هذا مُلك هذه الأمة قد ظهر... فإن كان ما تقول حقًّا فسيملك موضع قدميَّ هاتين وقد كنت أعلم أنه خارج" (١٤) ، ولما أرسلَ النبي ﷺ إلى المقَوْقِس عظيم القبط ما كان منه إلا أنْ أهداه جاريتين أسلمتا وصارت إحداهما زوجًا له، بمعنى أنَّ أمر هذه الأمة معلوم عندهم، ثم من أين جاءَ محمدﷺ بهذه الثقة وأتباعه لم يتعدوا بضعة آلاف ليخاطِبَ عظيم الروم وعظيم القِبط ليتبعاه، إلا إذا كان هو على يقين بعلمهم بأمره.

وقوله :" ليس فيها مُنْهَكٌ ولا عَاثِرٌ" هي ترجمة لحال المؤمنين الذين وصفهم قائد الروم لهرقل بقوله: " فُرْسانٌ بِالنَّهار، رُهْبانٌ بالليلِ"([١٥])

تلك هي الأمة التي جاء وصفها في قوله: "الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا، لذلك أقول لكم: إن ملكوت الله يُنزَع منكم ويُعطَى لأمة تعمل أثماره، ومن سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه" [متى:٢١/٤٢-٤٤]. وقد جاء في التعليق أنها الجيل الجديد من المؤمنين المسيحيين([١٦])... ولم يكن هذا لهم.

وقد جاءت هذه المفارقة في قوله ﷺ : "مثلكم ومثل أهل الكتابين كمثل رجل استأجر أجراء فقال: من يعمل لي من غدوة إلى نصف النهار على قيراط فعملت اليهود، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط؟ فعملت النصارى، ثم قال: من يعمل لي من العصر إلى أن تغيب الشمس على قيراطين؟ فأنتم هم، فغضبت اليهود والنصارى، فقالوا: ما لنا أكثر عملا وأقل عطاء؟! قال: هل نقصتكم من حقكم؟ قالوا: لا، قال: فذلك فضلي أوتيه من أشاء"([١٧]). ويتفق هذا مع ما جاء في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

([١٣]) الكتاب المقدس، طبعة دار المشرق، ص١٥٣٧،١٥٣٨.

([١٤])كتاب بدء الوحي، باب٦، حديث ٧.

([١٥]) البداية والنهاية، لابن كثير: ٦٢/٧.

([١٦]) الكتاب المقدس، طبعة دار المشرق.

([١٧])أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب الإجارة، حديث رقم(٢٢٦٨)

﴿وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: من الآية ١١٠]، قال ابن حجر: "وفي السياق حذف تقديره: مثلُكم مع نبيِّكم ومَثَلُ أَهْلِ الكِتابِ معَ نَبِيِّهم"(١٨).

أما قوله: " الحجر الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قِبَلِ الرَّبِّ كان هذا" فيتفق مع قول النَّبِيِّ ﷺ:"إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ. وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّين"(١٩). وإن صحَّ هذا القولُ عنهم فدليل على اتحاد المصدر.

ومن بشارات أشعيا: "هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي، وضعت روحي عليه، فيخرج الحق للأمم، لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة خامدة لا يطفئ، إلى الأمان يخرج الحق، لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض، وتنتظر الجزائر شريعته" [إشعيا: ٤٢/ ١ – ٤] وجاء في الهامش تعليقًا: "ويُطَبِّقُ مَتَّى الآيات ١٢:١ ٤ على يسوع"(٢٠). وقد جاء ذكر النبوءة نفسها بألفاظ مغايرة في إنجيل متى على النحو الآتي: "هو ذا فتاي الذي اخترته، حبيبي الذي سرت به نفسي...لا يخاصم ولا يصيح" [متى: ١٢/١٧-٢١]

صفات هذا العبد المختار تتفق وما رُوي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما من صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: "أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن، ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للآدميين، أنت عبدي ورسولي سَمَّيْتُكَ المتَوَكِّل، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ولا سخَّابٍ في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح بها أعينًا عميًا وآذانًا صمَا وقلوبًا غلفًا"(٢١).

وقد جاء في التعليق على هذا النص: "في هذا النشيد يصور العبد بصورة النبي المكلف بمهمة وقد أعده الله لها ويسيره الروح لتعليم الأرض كلها بالفطنة والحزم بالرغم من المعارضات، لكن مهمته تتجاوز مهمة سائر الأنبياء فهو بنفسه عهد ونور وأنه يقوم بعمل تحرير وخلاص"(٢٢). وهو في الترجمة القياسية

---

(١٨) فتح الباري: ٥٦٣/٤.

(١٩) أخرجه البخاري في صحيحه، حديث رقم(**3534**)

(٢٠) الكتاب المقدس، طبعة دار المشرق: ص١٥٩٣.

(٢١) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (٢١٢٥)

(٢٢) الكتاب المقدس، طبعة دار المشرق، ص١٥٩٣.

الإنجليزية"servant"، ولا يستطيعون إطلاق الوصف هنا على عيسى عليه السلام فهم يربؤون به عن درجة العبودية لذا لم يذهبوا إلى القول بأنه هو المراد هنا، أما وصف "عبد" فهو من أرفع الأوصاف التي أطلقت على النبي محمدﷺ قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ﴾[البقرة/٢٣]، وقال تعالى:﴿إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ [الأنفال/٤١]، وقال تعالى:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف/١]، وقال تعالى:﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء/١].. وقال ﷺ عن نفسه :"فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ"[٢٣]، وفاخر هو ﷺ به فكان يخاطب به الملوك في رسائله: "من محمد عبد الله ورسوله"([٢٤]).

وعلى المنوال نفسه تأتي نبوءة دانيال في تأويله لرؤيا نبوخذ نصر: "أنت أيها الملك ملك ملوك ... وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك، ومملكة ثالثة ... وتكون مملكة رابعة ... وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السماوات مملكة لن تنقرض أبدًا، وملكها لا يُترك لشعب آخر، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك، وهي تثبت إلى الأبد، لأنك رأيت أنه قد قطع حجر من جبل لا بيدين، فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب. الله العظيم قد عرف الملك ما سيأتي بعد هذا. الحلم حق وتعبيره يقين" [دانيال: ٣٧:٤٥]، وقد جاء في تعليق " أنها تصف وصفًا غامضا تعاقب الإمبراطوريات التاريخية الكبرى..والتي تصف أخيرًا قيام المملكة المشيحية"([٢٥]). ومعلوم أن أمة المسيح عليه السلام لم تمكَّن هذا التمكين، وإنما أمة محمدﷺ هي التي أفنت جميع تلك الممالك، وقد أخرج البيهقي بسنده عن أبي العالية أنه قال:"لما فتح المسلمون تَستُر وجدوا دانيال ميتًا ووجدوا عنده مصحفًا، قال أبو العالية: أنا قرأت ذلك المصحف وفيه صفتكم وأخباركم وسيرتكم ولحون كلامكم"([٢٦]).

([٢٣]) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم(3287)

([٢٤]) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب:٦،حديث٧.

([٢٥]) الكتاب المقدس، طبعة دار المشرق، ص١٨٦١.

([٢٦]) لأخرجه البيهقي في الدلائل، باب صفة رسول الله ﷺ في التوراة والإنجيل: ١/٣٨١:٣٨٢.

بشارات عيسى عليه السلام

أزخر الكتب إيرادًا للبشارات بالنبي العدنان ﷺ فقد جاء مُبَشِّرًا بمن يأتي بعده ووصفه بصفات (المعزي- المؤيد- الشافع) فقد جاء في [يوحنا ١٦/١٤:٥]: "وأما الآن فأنا ماضٍ إلى الذي أرسلني وليس أحد منكم يسألني أين تمضي...لكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم **المؤيد**، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم. وهو متى جاء ذاك أخزى العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة، أما على الخطية فلأنهم لا يؤمنون بي، وأما على بر فلأني ذاهب إلى أبي ولا ترونني أيضًا، وأما على الدينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دِين. إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن، وأما متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى الحق كله، لأنه لن يتكلم من عنده بل يتكلم بما يسمع، ويخبركم بما سيحدث، سيمجدني، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم به".

وفيه: "إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم **معزيًا** آخر، ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم، ويكون فيكم. لا أترككم يتامى" [يوحنا: إصحاح:١٤/١٥:١٨].

وجاء فيه أيضًا: "وأما **المعزي** الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي، فهو يعلّمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم، قلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون، لا أتكلم أيضا معكم كثيرًا لأن رئيس هذا العالم يأتي" [يوحنا: ١٤/ ٢٦].

فلفظة (المؤَيَّد) المذكورة هنا هي ترجمة للكلمة الموجودة في الترجمات القديمة (الفارقليط)، وقد تم تغييرها في الترجمات الحديثة إلى (المعزي- المؤيد - المحامي)، وعندما استدل علماء الإسلام- مستعينين بعلم مَن آمن مِن أهل الكتاب- بهذه الكلمة على نبوة محمدﷺ ذهب متعصبو النصرانية في تأويل الكلمة كل مذهب، فمنهم من ذهب إلى أن البارقليط هو روح الله الذي نزل على التلاميذ يوم الخمسين من رفع عيسى ليعزيهم في فقده، وهو روح الله ولسان من

نار([٢٧]). ومنهم من أقرَّ بأن معنى البارقليط محمد لكنه ادَّعى أن النصارى أقحموا هذا الاسم في الإنجيل جهلا منهم بعد ظهور الإسلام لتأثرهم بالثقافة الإسلامية([٢٨]).

ومنهم من زاد الطين بِلَّة فأقر بأن البارقليط تعني محمدًا، لكن اسم النبي العربي الحقيقي "قثم" وإنما تسمَّى بمحمد لما قرأ في الكتب اسم النبي الجديد... ! وهلم جرّا.

وأخيرًا لجئوا إلى ترجمة البارقليط إلى "المعزي". وإن كان المعزي أو المعين أو الوكيل أو على ما جاء في طبعة ١٨١٦م "الشافع" فكُلُّها أوصاف للنبي محمد ﷺ بل إنَّ "الشافع" اسم من أسمائه على ما جاء في قولهﷺ: "أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وأوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عنه القبرُ، وأوَّلُ شافِعٍ وأوَّلُ مشفَّعٍ"([٢٩]).

وأما قولهم أن الفارقليط هو روح القدس فمردود عليهم لأن الصفات الواردة في الإنجيل تأبى ذلك فقوله: "إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم" تدل على أن عيسى والمعزي "البارقليط" منفصلان لا يمكن أن يجتمعا، أما روح القدس فقد اجتمع مع عيسى طبقًا لنصوص الكتاب المقدس([٣٠]).

وقوله: "وهو متى جاء ذاك أخزى العالم على خطية" وقد كان روح القدس مع عيسى عليه السلام ولم يخزِ أحدًا، ولم يبكِّت روح القدس أحدًا يوم الخمسين، بل هذا ما فعله النبي ﷺ فقال: "أنا النذير العريان"([٣١])، والذي يلوم ويبكِّت لا يكون هدًى أو عِلمًا وإنما يكون رسولا يقدر على ما لم يقدر عليه المسيح.

وقوله: "يتكلم بما يسمع" فالكلام والسمع صفات بشرية وأفعال حسية، وغاية ما يفعله الروح هو الإلهام. وأما قوله "معزيًّا آخر" فيدل على أن الآخر نظير لعيسى في البشرية. وقد أدرك أوائل النصارى أن الفارقليط بشر فادعى بعضهم أنه هو المعزي([٣٢]).

([٢٧]) ينظر: العهد الجديد، دار المشرق: ص٣٣٧.

(٢٨) ينظر: تاريخ العرب في الإسلام، جواد علي، ص٩٧:٩٨.

(٢٩) أخرجه مسلم في صحيحه، حديث رقم (٢٢٧٨)

(٣٠) ينظر: لوقا: ٢٢/٣. إظهار الحق: ١١٩٢/٤.

([٣١]) أخرجه البخاري في صحيحه: حديث رقم (٦٤٨٢).

([٣٢])إظهار الحقّ: ١١٨٨/٤.

وقوله "سيد العالم أو رئيس العالم" يصدقه قول النبي ﷺ: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر"، وما ينبغي أن يكون عيسى عليه السلام؛ إذ إن دعوته تقتصر على بني إسرائيل كما جاء :"لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة"[متى ١٥/٢٤] . وكذا قوله: "يبكت العالم": ومعلوم أن كل نبي أرسله لقومه خاصة وأنَّ محمدا صلى الله عليه وسلم أرسل للناس كافة.

أما قوله: "ويخبركم بما سيحدث" ففيه إشارة إلى إخبار النبي ﷺ بالله وصفاته والجنة وما فيها من نعيم والنار وما فيها من عذاب وأخبر ﷺ بالساعة وأشراطها والقيامة والحساب والصراط وغيرها من أمور لا توجد في الإنجيل([٣٣]).

وجاء في يوحنا"ومتى جاء المعزي فهو يشهد لي وتشهدون أنتم"[١٥/٢٦-٢٧] أي يشهد محمد ﷺ لعيسى عليه السلام بالبراءة من ادعاء كونه إلهًا ويشهد لأمه-عليها السلام- بالبراءة مما رماها به اليهود وهو قوله تعالى:﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة/٧٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾[المائدة/١١٦]

من كل ما سبق يتبين أنَّ:

- الإيمان بنبوة محمد ﷺ من مقتضيات الإيمان بما جاء به موسى وعيسى عليهما السلام.
- صِدق البشارة به ﷺ في كتب أهل الكتاب من حفظ الله تعالى لدينه؛ إذ بقيت كثير من النصوص بعيدة عن التحريف.
- لا سبيل إلى جحد نبوته ﷺ عقلا ونقلا وفقًا للوارد في كتب أهل الكتاب.

والله أعْلَمُ بِأسْرارِ كُتُبِهِ ونسأله السَّدادَ في القول والعمل..

سبحان ربك ربِّ العزة عمَّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربِّ العالمين.

([٣٣]) الجواب الصحيح، لابن تيمية: ٥/٢٩٣.